وهي القصيدة العصماء التي نظمها فوزي افندي المعلوف فحيا العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وقد ترجمت الى الايطالية . القيناها والد الشاعر في اثناء زيارتنا لبنان في الصيف الماضي

ملك في الهواء

في عباب الفضاء ، فوق غيوم — بين نسره — ونجمه
حيث بث الهوا ، بنثر نسيم — كل عطره — ورقه

حلّق الشاعرُ العصامي — منذ البدء — لكن بروحه لا بجسمه
طائراً في الفضاء مع ربّة الشعر ومن حولهِ عرائسُ حُلمه
ملكُ قبةُ السحابِ له قصرٌ ، وكلّ الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الشجى ، فاح كافور دراريه ، فوق عنبر لثمه
هالةُ البدرِ كلّلته بتاجٍ صيغ من نثر فضةٍ حسنٌ نظمه
والسواقي عرش له نفض الليل على جانبيهِ رحبة رسمه
والثريا في كفّهِ صولجانٌ ذهبُ الصبح ضمّ لؤلؤ نجمه
شاعرٌ طائرٌ بغير جناحين بأمر الخيال يقضي وباسمه
مُلكهُ ركنه الهواء ، ولكنْ إله الخلود قام بدعمه
هجرَ الارض طالباً راحة الروح بعيداً عن الوجود وظلمه
صدّ عنه طوعاً بملء رضاه بعد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه وليس منه ، فما زا ل غريباً ما بين أبناء أمّه !!

نفوس الشعراء

يا نفوساً في بردة الشعراء رفعتهم — على الهواء
ابعدتهم عن عالم الاحياء قربتهم — من السماء

لستِ من عالم التراب وان كنـ ـتِ تجسدتِ بالتراب عليهِ
أنتِ من عالم بعيد عن الار ض بفيض الجمال عن جانبيهِ
عالم أنتِ فوقهُ نسماتٌ حملت نفحة الشعور اليهِ
هو ما زال طاهراً ونقياً لم يدنّسْ إثم الورى بردنيهِ

وفق الشعر فيه يستنزل الوحيَ بياناً ، يجثو الخلود لديه
مبقياً طيَّ مصحف الأفق آناً رأ تونّي بحبها صفحتيه
ما شعاع الاصيل غير لهيب شعَّ من قلبه على مقلتيه
وقتام الغمام غير دخان صعَّدته الهموم من شفتيه !!
ما أنين الرياح غير زفير سرقته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير اناشيد روتها الطيور عن أصغريه !!
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حبٍّ تحطمت في يديه
وندى الفجر غير درِّ دموع شربتها الازهار من محجريه

عبد وحرّة

بين روحي وبين جسمي الاسير كان بعدٌ — ذقت مره
انا في الترب وهي فوق الاثير انا عبد — وهي حرة

انا عبد الحياة والموت ، أمشي مكرهاً من مهودها لقبوره
عبد ما تحتوي الشرائع من جو رٍ يخطُّ القويُّ كلَّ سطوره
يرأعِ دمُ الضعيفِ لهُ حبرٌ ونوحُ المظلومِ وقعُ صريره
أنا عبد القضاء ، عبد فناهُ وشفاهُ ، يشيرُ ونذيره
عبد عصر من التمدن ظهو ضلَّةً عن لبابهِ بقشوره
عبد مالي ، أسعى اليهِ فاحظى بعد طول العنا بوطأة نيره
عبد إسمي أذيب نفسي وجسمي طمعاً في خلوده وظهوره
عبد حبي ، جعلتُ قلبيَ مأواهُ فأضرمتُ اضلعي بسعيره
ان جسمي عبدٌ لعقلي ، وعقلي عبد قلبي ، والقلب عبد شعوره
وشعوري عبدٌ لحسّي ، وحسّي هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمياء فوق الوجود بين شروره
غير روحي فانها حرّةٌ تمشي بروض الخلود ، بين زهوره

ملهم يحتضر

يا طيور السماء في الريح روحي بي جريا — على الخلد
ويحتمي طيري الى حيث روحي ثم تحيا — بلا جسد

هو حلمٌ ما زال في فكرة الشا عر يطوي الزمان جيلاً فجيلا

حققتهُ الايام فالنظر تجدني قاطعاً في الاثير ميلاً فميلا
ما جناحا خرافةٍ حملاني بل جناحا حقيقة من هيولى
فوق (طيّارةٍ) على صهوات الريح قامت تذلّلُ المستحيلا
هي طيرٌ من الجماد ، كأن السجنَ في صدرها تحتَ خيولا
فتظنُّ الأزيزَ فيها عزيفاً وتخالُ الدويَّ فيها صهيلا
حين هبَّت وثباً الى الجوِّ تختال وتعلو فيه قليلاً قليلا
ثم مدَّت الى النجوم جناحين وجرَّت على السحاب ذيولا
دفعت موجة الرياح بكفيها فشقَّت الى السماء سبيلا
خبباً تارة ، وطوراً وثيداً ، صُعُداً مرة ، وأخرى نزولا
درجت في ممالك الطير تلقي الذعر من حولها وتؤتي الفضولا
فترى في الطيور كرّاً وفرّاً وترى في النجوم قالاً وقيلا !!

بين الطيور

قال نسر لآخر : « أي طير هو هذا ومن رفاقه ؟
ان يكن قادماً الينا لخير فلماذا — علا زعاقه ؟

يالهُ طائراً بصورة شيطانٍ تبثُّ اللظى مراجل صدرهْ
يتخطى حدودنا دون إذنٍ فكأنّا وملكنا طوع امرهْ
إنني خائفٌ فلم ترَ عيني طائراً قطُّ في ضخامة قطرهْ »
فأجاب الثاني : « أعيذكَ منه فانا عارفٌ دخيلة سرّهْ
نحن لم نهجر البسيطة إلاّ هرباً منه ، واتقاء لشرّهْ
ليس طيراً لكنّه آدميٌّ جاء يستعمر الأثير بأسرهْ
ربما ضاق عن مطامعه الكون فحطت هنا مطامع فكرهْ
قم بنا نجمع الطيور ، ونثني لقاءهُ فنتقي بعض غدرهْ »
واذا بالطيور حولي ، وكلٌّ صامدٌ لي بمخليه وظفرهْ !!!
— لا تخافي يا طير ، ما انا إلاّ شاعرٌ تطرب الطيور لشعرهْ
جاء يقضي بعض الدقائق في مغناكِ ضيفاً على الهدوء وسحرهْ
هارباً مثلما هربت من الانسان والارض ، من شقاها ومكرهْ .

رمز الالم

انظريه يمشي وفي خطواته نزوات — من الالم
غار خداه ، تحدو بذاته زفرات — الى العدم

هو في ميعة الشباب ، ولكن ضمّ في بردتيه شيخاً هزيلا
شارد الطرف ، تائه الفكر ، يحكي مدلجاً في الظلام ضلّ السبيلا
ذو جبين ألقت عليه شجون النفس ظلاً من البؤس ظليلا
وقوام كأن قامة الظهر أناخت عليه حملاً ثقيلا
كتب البؤس في غضون محيّاه سطوراً مقروءةً وفصولا
فهو لا يعرف التبسّم ، إلاّ عند ما يستعيد حلماً جميلا !
ألف اليأس قلبهُ ، فهو واليأس يحاكي (بنينة) (وجميلا)
واذا اليأس صدّ عنه قليلاً قام يبكي على نواه طويلا
واذا ما النسيم مرّ عليه فتليل أتى يؤاسي عليلا
تاه في عالم الخيال فضاعت روحه وهي تطلب المستحيلا
حوّل الارض عالماً علويّا مخرجاً من وحولها سلسبيلا
وأعادَ الاثيرَ طوعَ يديه ناظماً من نجومه إكليلا

بين النجوم

وانبرت نجمة لاخرى تقول : « من نجوم — من البعيد ؟
أهو نجم مذنب ام دخيل في النجوم — وما يريد ؟

أنظريه يمدو الينا مغذّا مرعداً ، يقلق الينا بصاحبهْ
ليت شعري هل قاده نحو قاصي عالم النجم غير حبّ افتاحبه » ؟
حدّقت بي الاخرى مليّا وقالت: « لا تخافي يا اخت شرّ جناحيه
هو تحت السديم يعجز عن ان يبلغ النجم فوق متن رياحه
هو مخلوقُ عالمٍ ، إسمه الارض يغطي الشقاءُ كلّ بطاحه
عالمٍ ما شعاره غير ان الحق للقوة التي في سلاحه
فدعي ذلك الفضوليّ يعلو فقريباً يهوي عياً من كفاحه »
— آه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعراً ينصت الدجى لنواحه ؟
كم ليالٍ في الروض ، أحييها ابكي وأرنو اليكِ ، بين اقاحه

ساكباً في الفؤاد من رعشة السنور بعينيك بلسماً لجراحه
وسواد الظلام في قلبي حبر أوشي به بياض صباحه
ساعَ الله فيك قلباً نبيًّا هو في الكون مثل قلبٍ ملاحه

اوراق منثورة

أتناسيت يوم كانت طلوعي من شجوني — تمزق
يوم كفكفت واكفاً من دموعي في عيوني — يترقرق ؟

فاذكريني بين الكواكب وادعي لي ، عسى يهتدي اليَّ السلامُ
أيُّ حلم سبكته ذهباً لم تذبه بنارها الايام
ورجاء حبكته من خيوط النو ر لم ينسدل عليه ظلام؟
أيّ عود حملته للتغني لم تقطّع اوتاره الآلام
وغناء نظمته للتسلي لم يبدّله بالإنين السقام؟
اي كأس قرّبته من شفاهي لم تحل حنظلاً عليه المدام
وفؤادٍ فطرت فيه فؤادي لم يضع عنده لعهدي ذمام ؟
اي طيف طوّقته في مناي لم يجلّله بالدموع الغرام
وهناء زرعته في ضلوعي لم يكن منه للذبول طعام ؟
ليت شعري والليل يعقبه الفجر متى يعقب البكاء ابتسام ؟ !
ضاع عمري سعياً وراء رسوم خطّطتها في الشاطئ الاقدام
وبناء على الرمال . وهل يثبت ركن له الرمال دعامُ !

بين الارواح

وتمشى في عالم الارواح من قدوري — أي همس
اذ تنشقن من خفيف جناحي في النسيم — ريح أنس

فتألبن حول جسمي جماعا ت ملأنَ الجوّ النسيج دويًّا
واذا بي أعي هنالك أشيا ء ، ولما حدّقت لم أرَ شيًّا
كأني في الحلم سكران صاحي تتوالى رؤى الخيال عليًّا
حام شيء هناك لم تره عيني ولكن وعاه حسّي جليًّا
ظنّ حرلي طنين اجنحة النحل ، وأهوى مرفرفاً في يديًّا
هو مثل الأنفاس لفحاً ونفحاً ، وهو مثل الشعاع نشراً وطيًّا

ان فيه للمس برداً ، وللسمع جفيفاً ، وللنشق ريّا
لم يزل صوته الى اليوم في سمعي وقبلاته على شفتيّا
غير اني لما اردت له وصفاً غدا طيّع البيان عصيّا
هو حمل الأرواح فوق سماه قرّبتها عروس شعري إنيّا
فتنبهتُ من ذهولي وأصغيت لعلّي اجلو هناك خفيّا
ففهمتُ الذي (توشوشه) الأرواح مني ، وما تفكّر فيّا

هفوة التراب

قال روح : « حذار يا ترابي واطردوه — عن السماء
هو في الأرض هفوة من تراب فأبوه — طين وماء

هو من نفخة كفت لتجلّيه وتكفي بذاتها لاحتجابه
وكما كان اصله من تراب الكون يغدو مصيره لترابه
ليته عاد للأديم كما جا ، نقيّا في نفسه وإهابه
جاء والطهر والرواء رفيقاه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدنا ، الى القبر في غضون شبابه !
هو يحيا للشرّ فالشرّ يحيا ابداً حيث حلّ شؤم ركابه
وهو لا ينفع البسيطة ، إلاّ حين يثوي في القبر بين رحابه
حين يمتصّهُ الاديم ، فيعطي منه بعض الندا الى اعشابه
ليت شعري كل النبات الذي في الكون من زهره الى لبلابه
ليس الاّ عصير اجسام من ما توا فزانوا الثرى بأجمل ما بهْ
مثل طلّ في حمأة ، بخّرتهُ الشمس ، فاسترجعته عين سحابه
فتراه في الجوّ — ثانية — طلاًّ نقيّا ، يحيي الثرى بالكآبه » !!

استفهام ناقص

قال : ما قاله ، وفكّر لغوره يتسوق — تقربي
فأجابي آخر يقول بدوره : « قلت حقاً — يمذهبي

ما دعوه الانسان من أنسه لكن دعوهُ الانسان من لسانيهْ
نسي الخير ثم اوغل في الشر ، فداس الضمير في عصيانه
ملأت قلبه أفاعي المعاصي فاسمعوها تفحّ في خفقانه
حسدٌ ناهشٌ بقية ما في نفسه ، من إبائه وحنانه

طمع يضرم السعير حوانيه ، ويعمي عيونه بسخانه
وانانية عجل له الفضل ، لتحقيق غاية في كيانه
مُنح النطق والذكا ميزة تفرقه في الوجود عن حيوانه
فاذا بالاذى وليد حجاه واذا بالشرور بنت لسانه
عاث في ارضه فكانت جحيما فأتى الخلد ماتماً في جنانه
زجّ بالعلم في السماء طيوراً من جآذر يديرها بيتانه
ما اعتلاها الاّ لقتل البرايا ولهدم البلاد في طيرانه
ليته لم يكن ذكيًّا ، وليت السكون لم يشهد ارتقا إنسانيه »!!

كفارة الشاعر

وتدانت روح هنالك مني رمقتني — بلا غضب
علتها اثبلت تدافع عني صح طي — ولا عجب

هي روحي قامت تخلصني من غضب العالم الفخور بشره
لوّمتني بمصعبها وقالت : « اخواني رفقاً به وبؤسه
هو من عالم التراب ولكن شأنه غير شأن أبناء جنسه
سكن الارض مرغماً وهو لو خُيّر ، ما اختار غير ظلمة رمسه
أن بين السرير والنعش خطوا تٍ دعوها الوجود وهي بحكه
شاعر ما حياته غير قطرا تٍ جرت من يراعه فوق طرسه
يتلاشى كالشمع — كي يعطي النور — على هيكل الخلود وقدسه
غده — مثل يومه — تلعب الاقدار فيه ، ويومه مثل امسه
غلت عينُهُ بما سكبته من ندى الدمع كلّ ادران نفسه
والتظى قلبهُ فطهّر بالآلام ما دنّسته شهوات حسّه
جاء من ارضه يفتش عني يائساً فاخشعوا احتراماً لبأسه
ودعوه مني فني قبلاتي شهدُ عطف ينسيه علقم كأسه »!

على بساط الريح

ووقفنا معاً بقلب السماء تحتي — من القبل
ما احب اللقاء بعد التنائي فهو احلى — من الامل

موقف لا يمثل الفكر ابهى منهُ ، في نومه وفي يقظاته

اذ جلسنا على بساطٍ من السحـــب ، يفوح الغرام من جناته
تحت جوٍّ كأنهُ سنة النو م ، ترفُّ الاحلام في طبقاته
والنسيم العليل فوق لظى انـــفاسنا ، ساكب ندى نشأته
وعذارى الارواح تنشد من بعـــد بصوت الله ، ا في نبراته !
رافقتهُ فيـارة الحبِّ فانـــلُ أين الاثار في فيافه
فانتقلنا الى فضاءٍ من الـــبحران ، هاروت فيهِ بعض حياته
وملأنا من لنح قبلاتنا الـــجوَّ ، فعادت بالنفح من قبلاته
ثم قمنا نجول في الكون ، ابصـــاراً ارتنا منهُ حقيقة ذاته
تنظر الناس من علٍ مثلما تنـــظر نملاً يمشي الى غزواته
وترى الطود في السهول ، كما تبـــصر فوق التراب ظلّ حصاته
وترى الموجَ في الحضم ، كما تلمـــح جوًّا ، والسحب في مرآته !!

على الارض

تلك بضع من الدقائق مرت في حلم — من الخلود
هي مثل الاحلام زارت وفرت اي حلم — ترى يعود

واذا بي أهوي الى الارض وحدي بعد حرّيتي اكابد رقًّا
تركتني روحي ، وعادت لمأواها تشقُّ الشعاع في الجوّ شقّا
فرأيت اليراع قربي يواسيـــني ، ويبكي لما لقيتُ وألقى

يا يراعي ما زلت خير صديق لي — منذ امزجت بي — وسبق
باسماً من سعادتي حين اهنا باكياً من تعاستي حين اشقى !
كم حبيبٍ سلا وعهدُكَ باقٍ فهو اوفى من كل عهدٍ وابقى
أنت رغم الجحود خلٌّ وفيٌّ حوَّل المستحيل غولاً وحقا . .
ربَّ دمعٍ كفكفتهُ من عيوني سال حبراً في الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعتهُ من ضلوعي أجَّ بين السطور يحرق حرقا
وزفيرٍ حوَّلتهُ لصريرٍ ملأ الخافقين غرباً وشرقا
يا يراعي رافقت كل حياتي فاروِ عني ما كان حقا وصدقا
أنا لم القَ مثل صمتكَ صمتاً حوَّلتهُ عرائس الشعر نطقا !!

دُرَني المعلوف